الفصل الثانى

شبه الطاعنين فى سلامة عقله وبدنه والرد عليها

ويشتمل على تمهيد ومبحثين :

المبحث الأول : شبهاتهم من القرآن الكريم والرد عليها :

ويشتمل على تمهيد وخمسة مطالب :

المطلـب الأول : شبهتهم حول آيات ورد فيها إسناد "الضلال" و"الغفلة" إلى ضمير خطابه والجواب عنها 0

المطلب الثانـى : شبهتهم حول آيات ورد فيها إسناد "الذنب" و"الوزر" إلى ضمير خطابه والجواب عنها 0

المطلب الثالـث : شبهتهم حول آيات ورد فيها مخاطبة رسول الله بتقوى الله عزوجل، ونهيه عن طاعة الكافرين، ونهيه عن الشرك والجواب عنها 0

المطلب الرابـع : شبهتهم حول آيات ورد فيها مخاطبة رسول الله بتعرض الشيطان له والجواب عنها 0

المطلب الخامس : شبهتهم حول آيات ورد فيها معاتبة رسول الله والجواب عنها 0

المبحث الثانى : شبهاتهم من السنة النبوية والرد عليها :

ويشتمل على تمهيد وخمسة مطالب :

المطلـب الأول : شبهة الطاعنين فى حديث "شق صدره " والرد عليها 0

المطلب الثانـى : شبهة الطاعنين فى حديث "فترة الوحى" والرد عليها 0

المطلب الثالـث : شبهة الطاعنين فى حديث "نحن أحق بالشك من إبراهيم" والرد عليها 0

المطلب الرابـع : شبهة الطاعنين فى حديث "سحر رسول الله " والرد عليها 0

المطلب الخامس : شبهة الطاعنين فى حديث "أَهَجَرَ" والرد عليها 0

تمهيــد

ثبت فيما سبق ثبوتاً قطعياً من خلال القرآن الكريم، والسنة المطهرة، والسيرة العطرة، عصمة سيدنا رسول الله قبل النبوة وبعدها من كل ما يمس قلبه وعقيدته بسوء، من التمسح بالأصنام، أو الحلف بها، أو أكل ما ذبح على النصب أو نحو ذلك من مظاهر الكفر، والشرك، والشك، والضلال والغفلة، وكذا عصمته من تسلط الشيطان عليه، وعصمته من كل ما يمس عقله وخلقه بسوء؛ ومن ظن بأن الله تعالى يمكن أن يُقدِّر على نبيه ، عكس ذلك بعد اصطفائه فقد ظن السوء بربه. أعوذ بالله تعالى من الخزى والخذلان، وسوء الخاتمة والمنقلب 0

وكما ظهر قديماً من يطعن فى عصمة الأنبياء ممن لا يعتد بخلافهم من الأزرقة، والكرامية، والرافضة وغيرهم فقد ظهر حديثاً أذيالهم من المنكرين لسنة المعصوم وسيرته العطرة الواردة فيها، ومن عجيب أمر هؤلاء الأذيال تحمسهم لفكرة أن الأنبياء غير معصومين، أكثر من أسلافهم، إذ تجرأوا على أنبياء الله عز وجل بجعلهم أقل مرتبة من سائر البشر، وحال لسانهم يقول : الأنبياء أناس يخطئون كما يخطئ عامة الناس، بل إن الله قد يتوب على عامة الناس، ولا يتوب عليهم، وليس أدل على ذلك من زعم بعضهم أن "وصف الأنبياء بالعصمة المطلقة تأليه لهم، وأنهم معرضون للوقوع فى أعظم الذنوب وهو الشرك الأكبر، وأنهم سيحاسبون أمام الله يوم القيامة"[1] ومن هنا زعموا أن طاعة رسول الله تأليه وشرك"[2] وتجرأ بعضهم على كتاب الله عز وجل زاعماً : "أن القرآن الكريم لم يعتبر النبى معصوماً"[3] بل ويذهب إلى أن الاعتقاد بعصمة الأنبياء فى الإسلام دخيل عليه من النصرانية إذ يقول : "دخلت فكرة عصمة الأنبياء، إلى الفكر الإسلامى نقلاً عن الفكر المسيحى الذى يؤمن بأن المسيح اقنوم "صورة" لله، وأنه لذلك لا يمكن أن يخطئ، لأنه معصوم بطبيعته من الوقوع فى الخطأ"[4] متجاهلاً أن حقوق الأنبياء واحدة لا تختلف أبداً، فما يجب فى حق واحد منهم يجب كذلك فى حق الجميع، وما يستحيل فى حق واحد منهم يستحيل كذلك فى حق الجميع، لأنهم متساوون فيما يجب لهم، وما يستحيل عليهم بمقتضى قوله تعالى : **لا نفرق بين أحد من رسله**

---

1 () الأنبياء فى القرآن الكريم لأحمد صبحى ص 30، 40، 74 وينظر : القرآن والحديث والإسلام لرشاد خليفة ص 8 – 10، ومشروع التعليم والتسامح لأحمد صبحى وغيره ص 286 0

2 () سيأتى تفصيل تلك الشبهة والرد عليها ص 377 0

3 () الإسلام السياسى للمستشار العشماوى ص 86 0

4 () أصول الشريعة للعشماوى ص 143، وقارن بكتابة معالم الإسلام ص 148 حيث أثبت عصمته 0

﴿[5] وقوله سبحانه : ﴿**والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يأتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيماً**﴾[2] وقوله عز وجل : ﴿**قل ما كنت بدعاً من الرسل**﴾[3] ومن هنا كان الدفاع عن عصمة نبينا ﷺ دفاع عن سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام 0

والمتتبع للمروجين لفرية عدم عصمة الأنبياء، يهون عليه أنه يجدهم جميعاً من أصحاب المنافع والشهوات، أو من أصحاب الأغراض، وأرباب الهوى 0

وقد استند هؤلاء المشاغبون فى عصمة النبى ﷺ إلى بعض النصوص القرآنية والنبوية التى قد يتوهم من ظاهرها أن رسول الله ﷺ كان فى ضلال أو غفلة قبل نبوته، أو فى شك، وتأثير للشيطان، عليه بعد البعثة، وكلك نصوص وردت فيها بعض التنبيهات الموجهة مباشرة إلى رسول الله ﷺ فى القرآن الكريم[4] وهذه التنبيهات قد تبدو فى الظاهر وكأنها تمس عصمته ﷺ، فأخذوا يلوون تلك النصوص، ويحملونها من المعانى مالا تحتمل، إلا أنهم لن يستطيعوا بهذه الحيلة أن يضللوا الأمة 0

وسوف أعرض لهذه النصوص والتنبيهات، وأبين التوجيه الصحيح لها بما يبين الحق، ويصحح الفهم، ويزيل ما يقع من الوهم إن شاء الله تعالى، آملاً منه عز وجل التوفيق والهداية إلى ما فيه السداد، وحسن الأدب فى بيان المراد. فإلى بيان ذلك فى المبحثين التاليين 0

---

1 () جزء من الآية 285 البقرة 0
2 () الآية 152 النساء 0
3 () الآية 9 الأحقاف 0
4 () ينظر : الأصلان العظيمان لجمال البنا ص 232 حيث استدل بتلك التنبيهات على عدم عصمة الأنبياء 0

المبحث الأول
شبهاتهم من القرآن الكريم على عدم عصمة النبى ﷺ فى عقله وبدنه والرد عليها

تمهيد :

إن الذى يتتبع القرآن الكريم، ويتقصى آياته العظيمة، ويمعن النظر فيــه، ينتهى منه إلـى رصـيد ضـخم، وثـروة لا حـدود لهـا، مـن الثنـاء الحلـو، والمديـح الطيب، والتنويه الذى ليس قبله ولا بعـده، برسـول هـذه الإنسـانية، وسـيد هـذا الكون، حتى لكأنه بلغ قمة الثناء، وغاية المديح، وكل ذلك تجده حتى فى الآيـات المتشابهات التى استدل بها خصوم السنة المطهرة والسيرة العطرة 0

إن مما يشرح الصدر، ويبهج النفس أن المتتبع للآيات المتشابهات التى استدلوا بها على عدم عصمتهم ﷺ، يرى أنها ورادة فى مقام المنَّة على رسول الله ﷺ، وبيان عظيم مكانته وفضله عند ربه عز وجل فى الدنيا والآخرة، بأعظم ما يكون البيان 0

ويرى بوضوح وجلاء أن كل آية من تلك الآيات تأتى بنوع من الترفق برسول الله ﷺ فى الخطاب طمأنة لقلبه الطاهر، وتنادى بأن ما ورد من ظاهر تلك الآيات مما يمس عصمته ﷺ غير مراد، وتنادى بأن ما صدر منه من خطأ فى الاجتهاد، ووجه إلى الأخذ بالأصوب منه فيما يستقبل من حوادث، لم تؤثر على شئ من عصمته، ولا مما ناله من شرف القرب، والرضا عليه من الله عز وجل، مما يمكن أن يقال فيه : إنه مسح بيد الرحمة على القلب الطاهر الرحيم، الذى جعله رب العزة هدى ورحمة للعالمين 0

ومن هنا من يتأمل ما استدل به أعداء الإسلام من آيات قرآنية على عدم عصمته ﷺ، لا يستطيع إلا أن يقرر بأنها افتراءات أطلقوا عليها اسم أدلة وبراهين... وقد لا يصل القارئ إلى هذا التقرير، إلا بعد أن يتأمل جيداً، ويرجع إلى النصوص، ويمحصها بدقة فيخرج بنتيجة حاسمة، وحكم نهائى، بأن ما زعموه أدلة وحججاً وبراهين، إنما هى من نفخ الشيطان وهمزه ونفثه، سولها لهم الشيطان، وحسنها فى قلوبهم، ودفعهم بأن يقولوا أنها حجج قرآنية 0

وسوف نناقشها فقرة فقرة، وننقضها لبنة لبنة، حتى يقتنعوا أن ما زعموه من أدلة هى السراب الباطل الذى يحسبه الظمآن ماءً0

إنى أقول ذلك ومعى تأكيداً له شواهد من التاريخ، والنقل الثابت من الكتاب والسنة، وإجماع الأمة على عصمته ﷺ من الكبائر والصغائر قبل النبوة

وبعدها من كل ما يمس قلبه وعقيدته وخلقه وعقله بسوء، ومبرهناً فى نفس الوقت أن رسول الله أجل وأعلى، وأرفع وأقدس من أن تناله الشبه 0

فإلى بيان ذلك من خلال استعراض شبهاتهم والرد عليها فى المطالب التالية 0

المطلب الأول
شبهتهم حول آيات ورد فيها إسناد "الضلال" و"الغفلة" إلى ضمير
خطابه والجواب عنها

احتج المشاغبون الذاهبون إلى نفى العصمة عن رسول الله فى قلبه وعقيدته قبل البعثة وبعدها، بما ورد من آيات أسند فيها "الضلال" و"الغفلة" إلى ضمير خطابه ، وحملوها على الكفر فى حقه كقوله تعالى : **قل إن ضللت فإنما أضل على نفسى وإن اهتديت فبما يوحى إلى ربى إنه سميع قريب**[1] وقوله عز وجل : **ووجدك ضالاً فهدى**[2] وقوله سبحانه : **نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين**[3]0

ويجاب عن ما سبق بما يلى :

أولاً : حمل أعداء الإسلام، وأعداء السنة المطهرة، والسيرة العطرة كلمتى "الضلال" والغفلة، فى الآيات على الكفر والغى والفساد! وهذا تعسف باطل فى تأويل الآيات، ومرفوض من وجوه:

الأول : أنه قبل النبوة لم يكن هناك شرعاً قائماً حتى يوصف المنحرف عنه بالضلال 0

الثانى : ما ثبت بإجماع الأمة قاطبة من عصمة الأنبياء قبل النبوة وبعدها من الكبائر والصغائر[4]0

الثالث : ما ثبت بالتواتر عن حال النبى فى نشأته قبل النبوة من عصمة ربه عز وجل له من كل ما يمس عقيدته وخلقه بسوء على ما سبق تفصيله[5]0

---

1 () الآية 50 سبأ 0

2 () الآية 7 الضحى 0

3 () الآية 3 يونس، وينظر : ممن قال بهذه الشبهة، الإسلام بدون حجاب (كتاب مستل من شبكة الإنترنت) ص 35 – 37، والأنبياء فى القرآن لأحمد صبحى منصور ص 23، 30 – 80، 126، ومشروع التعليم والتسامح لأحمد صبحى وغيره ص 137، 152، وجريدة الدستور عدد 31/12/1997، وجريدة الميدان العدد 289 مقالتان لأحمد صبحى منصور، وإعادة تقييم الحديث لقاسم أحمد ص 155 0

4 () ينظر ص 7،11 0

ثانياً : إن تأويل أعداء الإسلام للآيات يرفضه القرآن الكريم، حيث وردت فيه كلمة "الضلال" مراداً بها أكثر من معنى، منها ما يلى :

1- ضلال بمعنى الكفر فى نحو قوله تعالى : ﴿**ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون**0[1]﴾

2- ضلال بمعنى النسيان فى نحو قوله تعالى : ﴿**أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى**﴾[2] أى أن تنسى إحدى المرأتين، فتذكر إحداهما الأخرى 0

3- ضلال بمعنى الغفلة فى نحو قوله سبحانه على لسان سيدنا موسى عليه السلام لفرعون : ﴿**قال فعلتها إذاً وأنا من الضالين**0[3]﴾

4- ضلال بمعنى المحبة فى نحو قوله عز وجل على لسان أولاد سيدنا يعقوب : ﴿**إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفى ضلال مبين**﴾[4] أى فى حب مبين ليوسف، وهو المشار إليه فى قوله تعالى على لسانهم أيضاً : ﴿**قالوا تالله إنك لفى ضلالك القديم**﴾[5] وكذلك قوله سبحانه على لسان نسوة المدينة : ﴿**وقال نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حباً إنا لنراها فى ضلال مبين**﴾[6] أى حب مبين ليوسف عليه السلام 0

ولما كان الضلال فى لسان أهل اللغة : العدول عن الطريق المستقيم، وضده الهداية، كان كل عدول ضلال، سواء كان عمداً أو سهواً، يسيراً كان أو كثيراً، ومن هنا صح أن يستعمل لفظ الضلال ممن يكون منه خطأ ما، ولذلك نسب الضلال إلى الأنبياء، وإلى الكفار، وإن كان بين الضلالين بون بعيد[7]0

---

5 () ص 44 – 79، وينظر : خواطر دينية لعبد الله الغمارى ص 178، 179 0

1 () الآية 62 يس، وينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير 6/570، 571 0

2 () جزء من الآية 282 البقرة 0

3 () الآية 20 الشعراء، وينظر : الأشباه والنظائر فى القرآن الكريم لمقاتل بن سليمان ص 297 – 299 0

4 () الآية 8 يوسف 0

5 () الآية 95 يوسف 0

6 () الآية 30 يوسف 0

7 () ينظر : معجم مفردات ألفاظ القرآن للأصفهانى ص 333، 334، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص 457 0

وعلى الوجهين الثالث والرابع تفسر آية : ﴿**ووجدك ضالاً فهدى**﴾ ونحوها، ويكون المعنى على الوجه الرابع : ووجدك محباً للهداية فهداك إليها، ويشهد لصحة هذا الوجه والتأويل ما يلى :

أ- ما صح من سيرة رسول الله ﷺ قبل النبوة، وتحنثه فى غار حراء طلباً للهداية، حتى نزل عليه جبريل عليه السلام بالوحى[1]0

ب- أن من أسماء المحبة عند العرب "الضلال" قال الشاعر :

هذا الضلال أشاب منى المفرقا *** والعارضين ولم أكن متحققا
عجباً لعزة فى اختيار قطيعتى *** بعد الضلال فحبلها قد أخلفا[2]0

قال الإمام الزرقانى[3] : وهذا أى الوجه الرابع، وتأويل الضلال بمعنى المحبة منقول عن قتادة، وسفيان الثورى، فلا يضر عدم وجوده فى الصحاح وأتباعه، فاللغة واسعة[4]، وقال الدكتور عبد الغنى عبد الخالق : وهذا قول حسن جداً[5] ويكون المعنى على الوجه الثالث : ﴿**ووجدك ضالاً فهدى**﴾ أى وجدك غافلاً عما يراد بك من أمر النبوة، فهداك أى فأرشدك 0

والضلال هنا : بمعنى الغفلة كقوله تعالى : ﴿**لا يضل ربى ولا ينسى**﴾[6] أى لا يغفل ولا يسهو جل جلاله عن شئ فى السماوات والأرض وما فيهن[7] وقال تعالى فى حق نبيه ﷺ : ﴿**نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين**﴾[8] أى لم تكن تدرى القرآن، والشرائع وما فيها من قصص الأنبياء،

---

1 () ينظر : حديث تحنثه فى غار حراء فى صحيح البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب بدء الوحى 1/30 رقم 3 0

2 () الجامع لأحكام القرآن للقرطبى 20/ 97 0

3 () هو : محمد بن الشيخ عبد الباقى الزرقانى، أبو عبد الله، الإمام الفقيه، الفهامة المتفنن، المحدث، الرواية المسند، المؤلف المتقن، من مؤلفاته النافعة : شرح الموطأ، وشرح المواهب اللدنية للقسطلانى، وغير ذلك. مات سنة 1122هـ له ترجمة فى : شجرة النور الزكية للشيخ محمد مخلوف 1/318، 319 رقم 1237 0

4 () شرح الزرقانى على المواهب 9/11، وينظر : الشفا 2/112، 113 0

5 () حجية السنة ص 112 0

6 () الآية 52 طه 0

7 () ينظر:تفسير القرآن العظيم لابن كثير 5/291،ومعجم مفردات ألفاظ القرآن للأصفهانى ص 405 0

8 () الآية 3 يوسف 0

فهداك الله عز وجل إلى ذلك، وهو معنى قوله تعالى : ﴿**وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم**0[1]﴾

والغفلة فى حق الأنبياء لا جهل فيها، لأن الجاهل لا يسمى غافلاً حقيقة لقيام الجهل به، فصح أن ضلال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام غفلة لا جهل[2] وقد روى هذا التأويل والوجه بعينه عن ابن عباس، وجماعة من المفسرين، وجماعة من أهل التأويل[3]0

وقيل : الضلال فى الآيات بمعنى التحير، ولهذا كان ﷺ يخلو بغار حراء فى طلب ما يتوجه به إلى ربه، ويتشرع به؛ حتى هداه الله إلى الإسلام[4] وهذا التأويل قريب من الوجه السابق 0

وبقيت وجوه أخرى من التأويل ذكرها أهل العلم[5] وأقواها ما اكتفيت بذكره 0

أما ما استدلوا به من قوله ﷺ على ما حكاه عنه القرآن الكريم : ﴿**قل إن ضللت فإنما أضل على نفسى وإن اهتديت فبما يوحى إلى ربى إنه سميع قريب**﴾[6] وزعمهم بأن نسبة الضلال إلى نفسه ﷺ يعنى أنه غير معصوم منه حتى بعد النبوة، فلا حجة لهم فى التعلق بظاهر هذه النسبة! لأن نسبة الضلال إلى نفسه ﷺ جاءت منه على جهة الأدب مع ربه عز وجل، وهكذا الأنبياء جميعاً إذا مسهم ضر نسبوه إلى الشيطان على جهة الأدب مع الحق جل جلاله، لئلا ينسبوا له فعلاً يكره، مع علمهم أن كلا من عند الله تعالى، قال الخليل عليه السلام : ﴿**وإذا مرضت فهو يشفين**﴾[7] وقال

---

1 () الآية 52 الشورى 0

2 () ينظر : تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء لعلى السبتى ص 112، 113، والشفا 2/114 0

3 () ينظر : تفسير المنار 12/208، وجامع البيان عن تأويل آى القرآن لابن جرير الطبرى 12/624، والجامع لأحكام القرآن للقرطبى 20/96، وفتح القدير 4/763، وعصمة الأنبياء للرازى ص 92، 93 0

4 () الشفا 2/112، وينظر : شرح الشفا للقارى 2/2050 تفسير جزء عم للشيخ محمد عبده ص 111، 112 0

5 () ينظر : شرح الزرقانى على المواهب 9/ 8 – 14، والشفا 2/112 – 114، ومفاتيح الغيب للرازى 8/451، 452 0

6 () الآية 50 سبأ 0

7 () الآية 80 الشعراء 0

الخضر عليه السلام : ﴿**فأردت أن أعيبها**﴾[8] أى السفينة، مع أن فعله كان بأمره عز وجل كما قال عز وجل على لسانه : ﴿**وما فعلته عن أمرى**﴾[2] وقال موسى عليه السلام : ﴿**هذا من عمل الشيطان**﴾[3] وقال نبينا ﷺ : **"والخير كله فى يديك، والشر ليس إليك"**[4] يعنى : ليس إليك يضاف الشر وصفاً لا فعلاً، وإن كان الفعل كله من عند الله عز وجل كما قال : ﴿**وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا**0[5]﴾

أما الشرط فى الآية ﴿**إن ضللت**﴾ فلا يقتضى الوقوع ولا الجواز، فالضلال لا يقع منه ﷺ، ولا يجوز أن يقع منه، لا قبل النبوة ولا بعدها، بمقتضى عصمة الله عز وجل له، ألا ترى كيف قال الله تعالى : ﴿**لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم**﴾[6] والمعنى: لولا ما عصمناه ورحمناه، لأتى ما يذم عليه، على فرض الإمكان، لا على فرض الوقوع 0

وكذلك قوله تعالى : ﴿**ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شئ**﴾[7] والمعنى : لولا فضل الله عليك يا رسول الله، بالعصمة ورحمته إياك، لهمت طائفة منهم أن يضلوك، على فرض الإمكان، لا على فرض الوقوع، بدليل بقية الآية : ﴿**وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شئ**﴾[8] وقال تعالى : ﴿**وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك لتفترى علينا غيره وإذاً لاتخذوك خليلاً**﴾

---

1 () جزء من الآية 79 الكهف 0

2 () جزء من الآية 82 الكهف 0

3 () جزء منا الآية 15 القصص 0

4 () جزء من حديث طويل أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة النبى [illegible]

5 () الآية 78 النساء، وينظر : المنهاج شرح مسلم 3/317 رقم 771 0

6 () الآية 49 القلم 0

7 () الآية 113 النساء 0

8 () ينظر : تنزيه الأنبياء لعلى السبتى ص 119 0

فهذه الآية كسابقتها من جملة الآيات المادحة لرسول الله ﷺ، لا أنها من المتشابهات 0

ومعناها : "لولا وجود تثبيتنا إياك، لقد قاربت أن تميل إليهم شيئاً يسيراً من أدنى الميل، لكن امتنع قرب ميلك وهواك لوجود عصمتنا وتثبيتنا إياك"[1]0

فتأمل كيف بدأ بثباته وسلامته بالعصمة، قبل ذكر ما عتبه عليه، وخيف أن يركن إليه، على فرض الإمكان لا على فرض الوقوع. وتأمل كيف جاء فى أثناء عتبه – إن كان ثم عتب – براءته ﷺ، وفى طى تخويفه تأمينه وكرامته صلوات الله وتسليمه عليه[2]0

وصفوة القول : أن ما استدل به من آيات على عدم عصمته ﷺ لا حجة لهم فيها لأن تلك الآيات الكريمات هى فى حقيقة الأمر واردة فى مقام المنة على رسول الله ﷺ، ومع تلك المنَّة يستحيل ما استدلوا به على عدم عصمته ﷺ

وتأمل معى آية سبأ : ﴿**قل إن ضللت فإنما أضل على نفسى وإن اهتديت فبما يوحى إلى ربى إنه سميع قريب**﴾[3] فهل مع منَّة النبوة، ونزول وحى الله تعالى إليه يكون ضلال؟ هل يعقل هذا؟ وكذلك آية يوسف : ﴿**نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين**﴾[4] فهل مع منة الوحى، ونزول القرآن عليه يجوز فى حقه ﷺ غفلة جهل، سواء قبل النبوة أو بعدها؟! وكذلك ما استدلوا به من آية الضحى : ﴿**ووجدك ضالاً فهدى**﴾ تجدها آية كريمة وردت فى سورة عظيمة أقسم رب العزة فى أولها بالضحى، والليل إذا أقبل بظلامه، على أنه ما ترك نبيه ﷺ، وما أبغضه، وهذا من كمال عنايته عز وجل فى رد ما قال المشركون للنبى ﷺ، ثم أخذ رب العزة يعدد فى ضمن نفى التوديع والقلى : ﴿**ما ودعك ربك وما قلى**﴾[5] نعمه على حبيبه ومصطفاه فى الدنيا والآخرة، وآمراً له بأن يحدث بها قال تعالى :

﴿**وللآخرة خير لك من الأولى. ولسوف يعطيك ربك فترضى. ألم يجدك يتيماً فأوى. ووجدك ضالاً فهدى. ووجدك عائلاً فأغنى. فأما اليتيم فلا تقهر. وأما السائل**

---

1 () شرح الشفا للقارى 1/68 بتصرف يسير 0
2 () الشفا 1/30، وينظر : شرح الزرقانى على المواهب 9/51 0
3 () الآية 50 سبأ 0
4 () الآية 3 يوسف 0
5 () الآية 3 الضحى 0

فلا تنهر. وأما بنعمة ربك فحدث[6] فتأمل كيف وردت آية **ووجدك ضالاً فهدى** فى معرض الثناء والمدح، والمنَّة عليه بنعم لا تعد ولا تحصى. فهل يعقل أن يكون مراداً بالضلال فى هذا المقام ضلال الكفر والفساد؟!! كيف وقد عصمه رب العزة من ذلك قبل نبوته، وهو ما تشهد به سيرته العطرة، على ما سبق تفصيله فى مبحثى الفصل الأول دلائل عصمته فى عقله وبدنه من خلال القرآن الكريم والسنة المطهرة؛ كما شهد رب العزة بعصمته من الضلال بعد نبوته فى قوله تعالى : **ما ضل صاحبكم وما غوى**[2] مع تأكيد النفى بالقسم بقوله عز وجل : **والنجم إذا هوى**0[3]

وتأمل دلالة كلمة "صاحبكم" فى قوله **ما ضل صاحبكم وما غوى** ولم يقل : محمد، أو رسول الله، أو نحو ذلك. تأكيداً لإقامة الحجة على المشركين بأنه صاحبهم، وهم أعلم الخلق به، وبحاله، وأقواله، وأعماله، منذ نشأته بينهم بالأمانة، والصدق ورجاحة العقل، والخلق القويم، وأنهم لا يعرفونه بكذب، ولا غى، ولا ضلال فى العقيدة أو الأخلاق، وبالجملة : لا ينقمون عليه أمراً واحداً قط، وقد نبه الله تعالى على هذا المعنى بقوله عز وجل : **قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون**[4] وقال سبحانه : **أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون**0[5]

هذا وفى القسم بالنجم، إشارة إلى أنه يهتدى به كما يهتدى بالنجم، ومن يهتدى به، وحث رب العزة على الاقتداء به، يستحيل فى حقه الضلال 0

إن الآية الكريمة **ما ضل صاحبكم وما غوى** مسوقة لتبرئته مما رماه به المشركون قديماً من الضلال والغى، وهى أيضاً مسوقة لتبرئته مما رماه به أذيالهم حديثاً من تفسير الضلال والغفلة، بالكفر والفساد. فوجب أن يكون النفى عاماً فى الضلال والغى قبل النبوة وبعدها 0

---

1 () الآيات 4 – 11 الضحى 0
2 () الآية 2 النجم 0
3 () الآية الأولى النجم 0
4 () الآية 16 يونس 0
5 () الآية 69 المؤمنون، وينظر : شرح الزرقانى على المواهب 8/457 بتصرف 0

وهو ما يدل عليه اللفظ العربى، ويقتضيه سياق الآية، إذ من المعلوم فى اللفظ العربى أن الفعل إذا ما وقع فى سياق النفى أو الشرط، دل على العموم وضعاً بلا نزاع 0

زد على هذا أن الأفعال بمنزلة النكرات، والنكرة تعم، فكأنه قال : ما صدر منه ضلال لا فى عقيدة ولا فى خلق لا قبل النبوة ولا بعدها[1]0

والمفسرون حين عمموا الآية فى جميع الضلال قبل النبوة وبعدها، قالوا بما يدل عليه اللفظ العربى دلالة وضعية لغوية، وبما يقتضيه سياق الآية، وبما تشهد به سيرته من كمال عقله وخلقه قبل النبوة وبعدها، وعصمته فى قلبه وعقيدته من الكفر والشرك، والشك، والضلال، والغفلة، على ما سبق تفصيله[2] أهـ 0

والله تبارك وتعالى أعلى وأعلم

---

1 () ينظر : شرح الزرقانى على المواهب 9/4 0

2 () يراجع : ص 47 – 79، وينظر : دلالة القرآن المبين على أن النبى

المطلب الثانى
شبهتهم حول آيات ورد فيها إسناد "الذنب" و"الوزر" إلى ضمير خطابه والجواب عنها

مما استدل به الطاعنون فى عصمة النبى ، وزعموه أدلة على جواز الكبائر والصغائر عنه ، قبل النبوة وبعدها، ما ورد فى القرآن الكريم من آيات أسند فيها "الذنب" و"الوزر" إلى ضمير خطابه ، كقوله تعالى : **فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك**[1] وقوله سبحانه : **ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر**[2] وقوله عز وجل : **ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك**0[3]

ويجاب عن ما زعموا بما يلى :

أولاً : إن ظاهر ما استدلوا به على عدم عصمته ، لا حجة لهم فيه، لأن ظاهره غير مراد، لمن تفكر فى سياق الآيات التى ورد فيها كلمتى : "الذنب، والوزر"!0

وهو سياق يظهر منَّة الله عز وجل على رسوله ، وبيان عظيم مكانته وفضله عند ربه عز وجل فى الدنيا والآخرة، مما يؤكد أن ظاهر ما يطعن فى عصمته غير مراد، وإنما هو فى حقيقة الأمر من جملة ما يمدح به . وتأمل معى قوله تعالى : **ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك** إنها آية كريمة وردت بين منتين :

الأولى : شرح الصدر فى قوله تعالى : **ألم نشرح لك صدرك**[4] شرحاً حسياً ومعنوياً، ليسع مناجاة الحق، ودعوة الخلق جميعاً، وليكون موضع التجليات ومهبط الرحمات[5]0

والثانية : رفع ذكره فى قوله تعالى : **ورفعنا لك ذكرك**[6] رفعاً بلغت قمته فى الشهادة التى لا يكون الشخص مسلماً إلا إذا نطق بها، فضلاً

---

1 () الآية 55 غافر 0
2 () الآية 2 الفتح 0
3 () الآية 3 الشرح، وأصحاب هذه الشبهة هم أنفسهم أصحاب الشبهة السابقة، ينظر مصادرهم السابقة ص 113 0
4 () الآية الأولى الشرح 0
5 () يراجع : روايات شق صدره الشريف، ودلالات ذلك على عصمته وكمال عقله وخلقه ومكانته عند ربه عز وجل ص 64 – 68 0
6 () الآية 4 الشرح 0

عن قرن اسمه باسمه عز وجل فى الآذان، والإقامة، والتشهد فى الصلاة، وفى خطب الجمعة، والعيدين، وفى خطبة النكاح، وجعل الصلاة والتسليم عليه عبادة على المسلمين[1]0

وتأمل معى أيضاً ما استدلوا به من قوله تعالى : **ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر** إن سياق الآية مع ما قبلها وما بعدها تجدها لا تحتمل إلا وجهاً واحداً، وهو تشريف النبى ، من غير أن يكون هناك ذنب، ولكنه أريد أن يستوعب فى الآية جميع أنواع النعم الأخروية والدنيوية : أما الأخروية فشيئان :

1- سلبية وهى غفران الذنوب، وإن لم يكن للمخاطب ذنب، ولو لم يذكر غفرانها لكان فى ذلك ترك استيعاب جميع أنواع النعم 0

2- وثبوتية وهى لا تتناهى أشار إليها رب العزة بقوله تعالى : **ويتم نعمته عليك**[2] وجميع النعم الدنيوية شيئان أيضاً :

1- دينية أشار إليها بقوله تعالى : **ويهديك صراطاً مستقيماً**[3] أى يثبتك على دين الإسلام 0

2- ودنيوية وهى قوله تعالى : **وينصرك الله نصراً عزيزاً**[4] أى نصراً لا ذل معه وقدم النعم الأخروية على الدنيوية، وقدم فى الدنيوية الدينية على غيرها تقديماً للأهم فالأهم فانتظم بذلك تعظيم قدر النبى بإتمام أنواع نعم الله عليه المتفرقة فى غيره، ولهذا جعل ذلك غاية للفتح المبين الذى عظمه وفخمه بإسناده إليه بنون العظمة، وجعله خاصاً بالنبى بقوله "لك"[5] فهل يعقل فى مقام المنَّة هذا، أن يكون المراد بالذنب والوزر ظاهرهما؟!

ثانياً : إن هذه الألفاظ التى يتعارض ظاهرها مع العصمة تحتمل وجوهاً من التأويل :

---

1 () ينظر : شرح الزرقانى على المواهب 8/309 – 313، والشفا 1/19، 20 0

2 () جزء من الآية 2 الفتح 0

3 () جزء من الآية 2 الفتح 0

4 () الآية 3 الفتح 0

5 () ينظر : المواهب اللدنية وشرحها للزرقانى 9/19، 20، والخصائص الكبرى للسيوطى 2/449، 450، والشفا 1/48، 49، وعصمة الأنبياء للرازى ص 109 0

1- تخريجها على مقتضى اللغة بما يناسب سياقها فى الآيات، فالوزر فى أصل اللغة الحمل والثقل[1] قال تعالى : ﴿**حتى تضع الحرب أوزارها**﴾[2] أى أثقالها، وإنما سميت الذنوب بأنها أوزاراً لأنها تثقل كاسبها وحاملها، وإذا كان الوزر ما ذكرناه، فكل شئ أثقل الإنسان وغمه وكده، وجهده، جاز أن يسمى وزراً، تشبيهاً بالوزر الذى هو الثقل الحقيقى 0

وليس يمتنع أن يكون الوزر فى الآية ثقل الوحى، كما قال عز وجل : ﴿**إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً**﴾[3] وعبء التبليغ، وثقل الدعوة، حيث كان الاهتمام بهما يقض مضجعه، حتى سهلهما الله تعالى عليه، ويسرهما له، ويقوى هذا التأويل، سياق الآية الواردة فى مقام الامتنان عليه ﷺ وقوله عز وجل : ﴿**فإن مع العسر يسراً. إن مع العسر يسراً**﴾[4] والعسر بالشدائد والغموم أشبه، وكذلك اليسر بتفريج الكرب، وإزالة الغموم والهموم أشبه[5]0

فإطلاق الوزر من باب الاستعارة التصريحية كما هو معلوم. وفى قراءة ابن مسعود وحللنا عنك وقرك[6] والوقر الحمل، وهذه القراءة تؤيد ما قررناه[7]0

2- أن "الوزر" و"الغفران" فى الآيتين مجازاً عن العصمة، والمعنى : عصمناك عن الوزر الذى أنقض ظهرك، لو كان ذلك الذنب حاصلاً، كما قال عز وجل : ﴿**ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شئ**﴾[8]

---

1 () ينظر : النهاية فى غريب الحديث 5/156، ومعجم مفردات ألفاظ القرآن ص 593 0

2 () جزء من الآية 4 محمد 0

3 () الآية 5 المزمل 0

4 () الآيتان 5، 6 الشرح 0

5 () ينظر : تنزيه الأنبياء للموسوى ص 114، 115 بتصرف، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير 8/452، ومفاتيح الغيب للرازى 32/ 4، وشرح الزرقانى على المواهب 9/15، 16، وخواطر دينية لعبد الله الغمارى ص 178، وعصمة الأنبياء فى الكتاب والسنة والرد على الشبهات الواردة عليها لمحمد الناجى ص 287، 288 0

6 () أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره 10/3445 رقم 19390 0

7 () ينظر : دلالة القرآن المبين لعبد الله الغمارى ص 172 0

8 () الآية 113 النساء 0

وقوله عز وجل : ﴿**وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك لتفترى علينا غيره وإذاً لاتخذوك خليلاً. ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً**﴾[1] والمعنى : لولا عصمتنا ورحمتنا لأتيت ما تذم عليه، على فرض الإمكان، لا على فرض الوقوع على ما سبق شرحه[2]0

"فسمى رب العزة العصمة "وضعاً" على سبيل المجاز، وإنما عبر عنها به، لأن الذنب يثقل الظهر بعقابه، وبالندم عليه فى حالة التوبة منه. والعصمة لكونها تمنع وقوع الذنب، تريح صاحبها من ثقل عقابه، ومن ثقل الندم عليه، فعبر عنها بالوضع لذلك"[3]0

ويشهد لصحة هذا القول : سيرة النبى ﷺ قبل النبوة، من عصمة رب العزة له ﷻ من كل ما يمس قلبه وعقيدته بسوء، من أكل ما ذبح على النصب، والحلف بأسماء الأصنام التى كان يعبدها قومه، واستلامها، وكذا عصمته من كل ما يمس خلقه بسوء، من أقذار الجاهلية ومعائبها، من اللهو، والتعرى، وكذا تشهد سيرته ﷺ بعد النبوة، من عصمة رب العزة له ﷻ مما عصمه به قبل النبوة، ومن أن يضله أهل الكفر، وأنى لهم ذلك وقد نفاه الله تعالى : ﴿**وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شئ**﴾[4] كما عصمه ربه عز وجل من أن يفتنوه عن الوحى أو التقول عليه، ولو حدث شئ من ذلك، لوقع عقاب ذلك، الوارد فى قوله سبحانه : ﴿**إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً**﴾[5] وقوله عز وجل : ﴿**ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحدٍ عنه حاجزين**﴾0[6]

فهل نقل إلينا ولو بطريق ضعيف أن رب العزة عاجله بالعقوبة فى الدنيا مضاعفة؟ أو تخلى عن نصرته؟

الإجابة بالقطع لا، لم ينقل إلينا، وهو ما يؤكد أن الخطاب فى آيات الشرط ﴿ **ولولا أن ثبتناك**﴾ و﴿**ولو تقول علينا بعض الأقاويل**﴾ ونحو ذلك، على فرض الإمكان، لا على فرض الوقوع، وبتعبير آخر الشرط فى تلك الآيات لا يقتضى الوقوع ولا الجواز 0

---

1 () الآيتان 73، 74 الإسراء 0
2 () ص 117 0
3 () خواطر دينية لعبد الله الغمارى ص 178 0
4 () الآية 113 النساء 0
5 () الآية 75 الإسراء 0
6 () الآيات 44 - 47 الحاقة 0

وإذا صح تسمية العصمة "وضعاً" فى قوله تعالى : ﴿**ووضعنا عنك وزرك**﴾[1] مجازاً، صحح أيضاً إطلاق المغفرة كناية عن العصمة فى قوله تعالى : ﴿**ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر**﴾[2] إذ الغفر الستر والغطاء[3] والمعنى فى الآية : ليعصمك الله فيما تقدم من عمرك، وفيما أخر منه 0

قال الإمام السيوطى[4] : "وهذا القول فى غاية الحسن، وقد عد البلغاء من أساليب البلاغة فى القرآن؛ أنه يكنى عن التخفيفات بلفظ المغفرة، والعفو، والتوبة، كقوله تعالى عند نسخ قيام الليل : ﴿**علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرءُوا ما تيسر من القرآن**﴾[5] وعند نسخ تقديم الصدقة بين يدى النجوى قال سبحانه : ﴿**فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم**﴾[6] وعند نسخ تحريم الجماع ليلة الصيام قال عز وجل : ﴿**فتاب عليكم وعفا عنكم**0[7]﴾

ووجه إطلاق المغفرة كناية عن العصمة : أن العصمة تحول بين الشخص وبين وقوع الذنب منه، والمغفرة تحول بين الشخص وبين وقوع العقاب عليه، فكنى عن العصمة بالمغفرة بجامع الحيلولة؛ لأن من لا يقع منه ذنب، لا يقع عليه عقاب 0

---

1 () الآية 3 الشرح 0

2 () الآية 2 الفتح 0

3 () ويروى فى ذلك عن شريح بن عبيد الحضرمى "ووضعنا عنك وزرك" قال : وغفرنا لك ذنبك، أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره 10/3445 رقم 19389، وينظر : القاموس المحيط 2/101،والنهاية فى غريب الحديث 3/335 0

4 () هو : عبد الرحمن بن أبى بكر محمد السيوطى، جلال الدين، كان إماماً حافظاً بارعاً، ذا قدم راسخة فى علوم شتى، فكان مفسراً، محدثاً، فقيهاً، أصولياً، لغوياً، مؤرخاً، له مؤلفات بلغت نحو ستمائة مصنف منها : الأشباه والنظائر فى القواعد الفقيهة، والأشباه والنظائر فى العربية، والدر المنثور فى التفسير بالمأثور، والجامع الكبير والصغير، مات سنة 911هـ له ترجمة فى : حسن المحاضرة للسيوطى 1/335 رقم 77، وشذرات الذهب 8/51، وطبقات المفسرين للسيوطى ص 3، والبدر الطالع للشوكانى 1/328 رقم 228 0

5 () جزء من الآية 20 المزمل 0

6 () جزء من الآية 13 المجادلة 0

7 () جزء من الآية 187 البقرة، وينظر : الدر المنثور 6/363 0

واختيرت هذه الكناية – أعنى الاستعارة – لأن المقام مقام امتنان عليه ﷺ. ثم المعنى بعد هذا : ليظهر الله عصمتك للناس، فيروا فيك حقيقة الإنسان الكامل، ويلمسوا منك معنى الرحمة العامة، لا تبطرك عزة الفتح، ونشوة النصر، فلا تنتقم، ولا تتشفى، ولكن تعفوا وتغفر[1]0

ولهذا دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح مطاطئاً رأسه حتى كاد يمس مقدمة رحله، وهو راكب على بعيره تواضعاً لله عز وجل[2].وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح وذقنه على رحله متخشعاً"[3] وفى نفس الوقت كان يرجع[4] فى تلاوته، وهو على مشارف مكة سورة الفتح[5] وهذا يعنى أنه ﷺ كان مندمجاً فى حالة من العبودية التامة لله تعالى، شكراً له عز وجل، على هذه النعم التى لا تعد ولا تحصى، ولهذا كان ﷺ يكثر من الاستغفار والعبادة شكراً لله سبحانه على ذلك، وليس كما يفهم أعداء الإسلام، وخصوم السنة المطهرة أنه استغفار لذنبه[6] لأن الاستغفار ليس خاصاً بالذنوب، بل له حِكَمٌ كثيرة، على رأسها : شكر الله عز وجل على نعمه، ولذا جاء الأمر به للنبى ﷺ شكراً لله عز وجل بنصره على أعدائه، وفتح مكة له، قال تعالى : ﴿**إذا جاء نصر الله والفتح. ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجاً. فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا**﴾[7] وامتثل النبى ﷺ لهذا الأمر الإلهى كما جاء فى حديث عائشة رضى الله عنها قالت : "كان رسول الله ﷺ يكثر من قول : "سبحان الله وبحمده، أستغفر

---

1 () دلالة القرآن المبين ص 132، وخواطر دينية ص 176، 177 كلاهما لعبد الله الغمارى وينظر : فيض البارى على صحيح البخارى للكشميرى 4/233 0

2 () ينظر : السيرة النبوية لابن هشام 4/25 نص رقم 1668 0

3 () أخرجه الحاكم فى المستدرك 3/49 رقم 4365 وصححه على شرط مسلم، وسكت عنه الذهبى، وقال الزرقانى فى شرحه على المواهب 3/434 سنده جيد قوى، وأخرجه البيهقى فى دلائل النبوة 5/68، 69 0

4 () الترجيع : ترديد القراءة، ومنه ترجيع الأذان، وكان ترجيعه [illegible]

5 () ينظر الحديث فى صحيح البخارى (بشرح فتح البارى) فى عدة أماكن منها كتاب التفسير، باب "إنا فتحنا لك فتحاً مبينا" 8/447 رقم 4835، ومسلم (بشرح النووى) كتاب صلاة المسافرين، باب قراءة النبى [illegible]

6 () ينظر : الأنبياء فى القرآن لأحمد صبحى منصور ص 35، 48، 40، 45 0

7 () سورة النصر كلها 0

الله وأتوب إليه" قالت : فقلت : يا رسول الله! أراك تكثر من قول : "سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه؟" فقال : **خبرنى ربى أنى سأرى علامة فى أمتى، فإذا رأيتها أكثرت من قول : سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه. فقد رأيتها** "إذا جاء نصر الله والفتح – فتح مكة – ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجاً. فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً"[1]0

وعصمته من الذنب فيما تقدم من عمره، وفيما أخر منه، من أعظم النعم التى قام النبى بشكرها، بالاستغفار، والقيام بين يدى الله عز وجل حتى تورمت قدماه 0

فعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ، إذا صلى، قام حتى تفطر رجلاه، قالت عائشة : يا رسول الله! أتصنع هذا، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال : "**يا عائشة! أفلا أكون عبداً شكوراً**"[2] والمعنى : "أن المغفرة سبب لكون التهجد شكراً فكيف أتركه؟"[3]0

وعلى ما تقدم فقوله تعالى : **واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات** ونحوها من الآيات مراداً بها الحث على دوام الاستغفار والشكر لله عز وجل، على ما أنعم عليه من العصمة 0

وأقول : إذا لم يسلم الخصم بما سبق من تأويل آيات الذنب والوزر الواردة فى حقه ، وأخذ بها على ظاهرها، فليبين لنا حقيقة الذنب والوزر الذى ارتكبه رسول الله ، سواء قبل النبوة أو بعدها؟!0

إنه إن كان ثمَّ ذنب فلن يَخْرُج عن ترك الأَوْلَى، كما قيل : حسنات الأبرار سيئات المقربين[4] وترك الأولى ليس بذنب، لأن الأولى وما يقابله مشتركان فى إباحة الفعل، والمباحات جائز وقوعها من الأنبياء، وليس فيها قدح فى عصمتهم ومنزلتهم، لأنهم لا يأخذون من المباحات إلا الضرورات[5] مما يتقوون

---

1 () أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الصلاة، باب ما يقال فى الركوع والسجود 2/438 رقم 484، والبخارى (بشرح فتح البارى) كتاب التفسير، باب سورة إذا جاء نصر الله 8/605 رقم 4967 0

2 () أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب صفات المنافقين، باب إكثار الأعمال والاجتهاد فى العبادة 9/178 رقم 2820، والبخارى (بشرح فتح البارى) كتاب التفسير، باب "ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر" 8/448 رقم 4837 0

3 () ينظر : فتح البارى 3/20 رقم 1130 0

4 () أى : كلما ترقى فى درجة عد ما قبلها سيئة، وهذا قول سعيد الخراز، كما رواه ابن عساكر فى ترجمته، ولم أعثر عليها فى مختصر التاريخ، ينظر : شرح المواهب للزرقانى 9/19 0

5 () قال أبو الحسين المعتزلى : "ولا يجوز فى حقهم عليهم الصلاة والسلام كثير من المباحات القادحة فى التعظيم، الصارفة عن

به على صلاح دينهم، وضرورة دنياهم، وما أخذ على هذه السبيل التحق طاعة، وصار قربة[1] 0

قلت : وكيف يتخيل صدور الذنب فى حقه ، وقد عصمه ربه عز وجل فى قوله وفعله وخاطبه بقوله سبحانه : **وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحى يوحى**[2] وقال عز وجل: **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر**[3]. "ومن تأمل إجماع الصحابة على اتباعه والتاسى به فى كل ما يقوله ويفعله من قليل أو كثير، أو صغير أو كبير، ولم يكن عندهم فى ذلك توقف ولا بحث، حتى أعماله فى السر والخلوة، يحرصون على العلم بها، وعلى اتباعها، عَلِمَ بهم أو لم يعلم، ومن تأمل أحوال الصحابة معه استحى من الله تعالى أن يخطر بباله خلاف ذلك"[4] 0

ثم إن حقيقة الذنب فى اللغة ترجع إلى كل فعل يُسْتَوخَمُ عُقباَهُ كما فسره الراغب فى مفرداته[5]. وشرعاً : يرجع الذنب إلى مخالفة أمر الله تعالى أو نهيه 0

وهو أمر نسبى يختلف باختلاف الفعل والفاعل، وقصد الفاعل، فليست المخالفة من العَالم كالمخالفة من الجاهل، وليست المخالفة الواقعة عن اجتهاد، كالمخالفة التى لا تقع عن اجتهاد، وليست المخالفة الواقعة بالقصد والتعمد، كالمخالفة الواقعة بالنسيان 0

ومن هنا تختلف الذنوب ومسئولياتها بالنسبة للفاعل، والحوادث. وعلى ضوء ذلك نفهم معانى الآيات التى ورد فيها إسناد الذنب إلى رسول الله مضافاً إلى ضمير خطابه 0[6]

القبول" ينظر : المعتمد فى أصول الفقه 1/342 0

1 () الشفا 2/147 بتصرف 0

2 () الآيتان 3، 4 النجم 0

3 () الآية 21 الأحزاب 0

4 () وهذا رد الإمام السبكى على الزمخشرى فى تفسيره لآية 2 الفتح بأن المراد : جميع ما فرط منك. الكشاف 4/333. وينظر : المواهب اللدنية للقسطلانى وشرحها للزرقانى 9/21، 22 0

5 () ص 203 0

6 () ينظر : آيات عتاب المصطفى

وصفوة القول، أن يقال : إما أن يكون صدر من رسول ﷺ ذنب أم لا! فإن قلنا : لا، امتنع أن تكون هذه الآيات إنكاراً عليه، وقدحاً فى عصمته. وإن قلنا : إنه صدر عنه ذنب – وحاشاه الله من ذلك – فقوله تعالى : ﴿**ووضعنا عنك وزرك**﴾ وقوله سبحانه : ﴿**ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر**﴾ يدل على حصول العفو[7] وبعد حصول العفو يستحيل أن يتوجه الإنكار عليه! فثبت أنه على جميع التقادير يمتنع أن يقال : إن قوله تعالى ﴿**واستغفر لذنبك**﴾ وقوله سبحانه : ﴿**ووضعنا عنك وزرك**﴾، يدل على كون رسول الله ﷺ مذنباً، أو غير معصوم!0 وهذا جواب شاف كاف قاطع. وما فوق مقام رسول الله ﷺ مقام أهـ 0

---

[7] () وهذا من خصائصه [illegible]